مادّة: المدخل إلى علم الآثار

السّداسي (1) للسّنة (1) جذع مشترك علوم إنسانية (ل.م.د)

المحاضرة (01): علم الآثار: تعريفه، نشأته وتطوره

تعريف علم الآثار

إن التعبير عن علم الآثار بمصطلح «أركيولوجيا و"*Archéologie*" يعود إلى الكلمة اليونانية القديمة: (*Archaiologia*) بمعنى علم القديم أو دراسة القديم. وهو العلم الذي يهتم بدراسة جميع الأشكال المادية والملموسة التي تحفظ لنا آثار النشاط البشري سواء أكانت هذه الآثار ذات قيمة جمالية أم لا. ولا يقتصر علم الآثار على عمليات البحث والتنقيب بل يمتد إلى مجال النشر العلمي للمكتشفات الأثرية والدراسات المتخصصة التي تميط اللثام عن ماضي مجهول، لتقدم لنا معلومات جديدة من المادة القديمة.

علم الآثار هو العلم الوحيد الذي يجمع بين جميع العلوم والاختصاصات (العلوم المساعدة). ويشتمل البحث الأثري على المجالات التالية:

- المسح الميداني الشامل
- التنقيب بطريقة علمية سليمة
- توثيق الآثار
- دراسة اللقى وتحليلها

- أهداف علم الآثار

- معرفة ماضي الإنسان وتدوينه.
- دراسة أثر البيئة على التراث الحضاري للإنسان.
- دراسة علاقة الماضي بالحاضر.
- تنمية الحس الوطني بأهمية التراث القديم والحفاظ عليه.

نشأة علم الآثار

- بدأ علم الآثار وصفاً مجرداً يذكر الماضي وكان الدافع وراءه سير أغوار الماضي ومعرفة الحضارات السابقة فكان يحركه الفضول بلا منهج أو إطار يحكمه.

- يعتبر الشاعر الملحمي اليوناني "هوميروس" هو المؤسس الحقيقي لعلم الآثار، فقد قدم في ملحمتي الإلياذة والأوديسا وصفاً لبعض الأماكن والأحداث التي سبقت عصره إبان الألف الثالثة قبل الميلاد.

- يأتي بعد هوميروس المؤرخ الإغريقي "ثيكوديدس" الذي قدم وصفاً لتاريخ الإغريق.

- كتب بلوتارك عديد من المؤلفات مثل الحياة المقارنة والأخلاق وهو كتاب متعدد الموضوعات الاجتماعية والطبيعية والفنية والأثرية.

- وتأتي كتابات سترابون والذي يسبق بلوتارك حيث عاش من 64 ق.م حتى عام 19م أحد الخطوات الهامة لوجود علم الآثار الوصفي إذ قدم في كتابه الجغرافيا الذي يقع في سبعة عشر كتاباً وصفاً كاملاً لتاريخ واقتصاد وجغرافية البلدان التي تقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية معدداً التطور التاريخي

والاقتصادي وكل ما هو مميز في عادات الشعوب وتقاليدها وطبيعتها وحيواناتها وكان كتابه هذا يدرس في مدارس أوروبا في العصور الوسطى.
- كتب بلوتارك عديد من المؤلفات مثل الحياة المقارنة والأخلاق وهو كتاب متعدد الموضوعات الاجتماعية والطبيعية والفنية والأثرية.
- وتأتي كتابات سترابون والذي يسبق بلوتارك حيث عاش من 64 ق.م حتى عام 19م أحد الخطوات الهامة لوجود علم الآثار الوصفي إذ قدم في كتابه الجغرافيا الذي يقع في سبعة عشر كتاباً وصفاً كاملاً لتاريخ واقتصاد وجغرافية البلدان التي تقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية معدداً التطور التاريخي والاقتصادي وكل ما هو مميز في عادات الشعوب وتقاليدها وطبيعتها وحيواناتها وكان كتابه هذا يدرس في مدارس أوروبا في العصور الوسطى.
- تمثل كتابات الرحالة "بوزانياس" وهو الذي عاش في القرن الثاني الميلادي المرحلة الثالثة للنشأة الأولى لعلم الآثار ويعتبر كتاب ‘‘وصف اليونان’’بمثابة دليل للسياح الأجانب الذين يفدون لبلاد اليونان.
- ما قدمه الكاتب الروماني بليني الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي يأتي في نفس الإطار إذ قدم فيه موضوعات متعددة في مجالات النحت والفنون الصغرى والرسم.
- إذا كان هوميروس هو أبو علم الآثار فإن الإمبراطور الروماني هادريان هو أول من أسس متحفاً في العالم حيث شيد قصره على الطراز اليوناني كما بنى مدرسة وأكاديمية ورواقاً لحفظ الرسومات ومسرحاً إغريقياً.
- بدأ الاهتمام بعلم الآثار يزداد خلال القرن الرابع عشر وأن كانت بدايته من أفراد دونما منهج علمي ينظم عملهم، أي أنه كان هناك أثريون ولم يكن هناك علم للآثار وفي مقدمة هؤلاء يأتي الإيطالي دانكون (1397-1451) وكان مهتم بالكتابات والنصوص القديمة وقد سجل ما وجده في ست مجلدات.
- في القرن السادس عشر تبقى الريادة الفعلية في هذا القرن للعلماء الفرنسيين على يد نيكولا يرسيك (1580-1637) ثم تأتي بعد ذلك البعثة الفرنسية التي أرسلها "لويس الثالث عشر ملك فرنسا إلى بلاد اليونان برئاسة العالم الفرنسي "لويس ديشاي’’ والتي ظلت تعمل حتى عصر لويس الرابع عشر.
- في القرن السابع عشر الفرنسي الشهير قام "جاك سبون’’ برحلة كبرى إلى الشرق بمرافقة عالم إنجليزي يدعى "ويلر’’ سجلا خلالها ما شاهداه وجمعاه في رحلتهما إلى الشرق في كتاب "رحلة إلى إيطاليا واليونان والشرق‘‘ وهو صاحب الاصطلاح Archéologie أركيولوجي’’ في كتابه مزيج من علوم الآثار، والذي اقترح فيه تقسيم الدراسات القديمة إلى ثمانية أنواع وهي أول دراسة تصنيفية نوعية معروفة في التاريخ.
- جاء بعده الراهب "مونتوكون" صاحب كتاب العصور القديمة قدم فيه شرحا وصورا وهو أول مؤلف يجمع الحضارتين اليونانية والرومانية معا ويعتبر اللبنة الأولى في مجال علم الآثار الكلاسيكية.

تطور علم الآثار

1-بداية التوثيق العلمي للآثار والمنقبون الأوائل

- في بداية القرن الثامن عشر بدأ البحث المتعمد عن الآثار واستخراج بعض التحف والتماثيل من المعابد والقصور والقبور القديمة فتكدَس لديهم الكثير من الآثار.
- أصدر العالم الألماني "فينكلمان" كتاب" تاريخ الفن القديم".

- بدأت بعض التنقيبات (الحفائر) التي كان هدفها السعي للمعرفة وتقصي الحقائق.
- العلماء الفرنسيين الذين رافقوا نابليون بونابرت في حملته على مصر 1798 قاموا بوصف وتصوير وتوثيق ورسم آثار مصر في كتاب" وصف مصر".
- شهد القرن التاسع عشر صراعا حامي الوسيط بين الكنيسة الأوروبية وعلماء الآثار المصرية وكان موضوع الصراع تحديدا أنه في كتب العهد القديم تسلسل للأجيال منذ آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام واعتمد القساوسة على عدد السنين التي ذكرت في الإصحاح وعلى الرغم من وجود ثلاث نسخ من التوراة عبرية وسبعينية وسامريه إلا أنها اعتبرت مقدسة على الرغم من الاختلاف فيما بينها، إذ في النسخة العبرية مجموع الأعمار من آدم إلى إبراهيم 2023 سنة وفي السبعينية 3389 سنة وفي السامرية 2324 أما المدة من إبراهيم إلى عيسى عليه السلام 2200 سنة وطبقا لتقديرات الكنيسة فإن أقصى مدة لبدء الخليقة هي 5589 سنة وعندما درس عالم فرنسي يدعى ديربيوس البروج المصورة على المعابد المصرية استنتج أن عمر البروج المصرية يبلغ 13 أو 15 ألف سنة.
- أعقبت الحملة الفرنسية القيام بحفريات واسعة قام بها الفرنسي أوغست ماريت (أول مدير لهيئة الآثار المصرية) وغيره من الأوروبيين.
- اتجه عدد من الرحالة الأوروبيين إلى بلاد الرافدين ووثقوا آثارها في بابل وآشور واكتشفوا بعض المواقع السومرية جنوب وادي الرافدين.
- زار العالم الدنمركي نيبور أطلال بعض المدن الإيرانية القديمة ونسخ الكثير من الأصول المكتوبة بالخط المسماري.
- زاد نشاط البعثات والرحلات العلمية المكلفة بجمع المادة الأثرية بالإضافة إلى محاولات جادة لقراءة المخطوطات باللغات القديمة بعد فك رموزها مثل الهيروغليفية والمسمارية.

2-المجموعات الخاصة ونشأة المتاحف

- تعتبر المجموعات الخاصة التي اقتناها جامعو التحف والمهتمون بالفنون والأغنياء بداية للمتاحف.
- تحولت قصور كثير من الأغنياء إلى متاحف خاصة.
- تحولت هذه المتاحف الخاصة إلى متاحف عامة بعد تكدسها بالتحف مثل متاحف الأريمتاج بروسيا والمتحف البريطاني والمتحف الأشمولي ببريطانيا.
- توالى إنشاء المتاحف الوطنية مثل المتحف المصري 1859 م والجزائري 1897 والسوداني 1904 والسوري 1919 والعراقي 1923 والفلسطيني 1938 واللبناني 1937.
- تم إنشاء المتحف الوطني بالرياض بالمملكة العربية السعودية في 1999م.

3-قراءة الكتابات القديمة

- أسفر جمع الآثار وما عليها من كتابات مختلفة عن جهود فردية لقراءة أهم الكتابات القديمة بذلها باحثون من البلاد الأوروبية في مطلع القرن التاسع عشر.
- أُمكن قراءة اللغة المصرية القديمة واللغة الفارسية واللغة الأكادية فالسومرية.
- توالت بعد ذلك قراءة لغات أخرى مثل المسمارية (تركيا) والفينيقية (بلاد الشام) والمسند (الجزيرة العربية) والكريتية (يونانية) وحديثاً نقوش مملكة إبيلا (سوريا).
- مثال: قراءة اللغة المصرية القديمة بواسطة شامبليون.

- حجر رشيد هو حجر نُقش عليه نصوص هيروغليفية وديموطيقية ويونانية وكان مفتاح حل لغز الكتابة الهروغليفية.
- سمي بحجر رشيد لأنه تم اكتشافه بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط.
- جاء العالم الفرنسي شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخري.
- كانت الهيروغليفية اللغة الدينية المقدسة واللغة الديموطيقية كانت اللغة العامية المصرية واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق.
- وقد ترجم إلى اللغة اليونانية لكي يفهموه.
- كان محتوى الكتابة تمجيدا لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر.

4-علم الآثار في الجامعات والمعاهد

- بدأ دخول علم الآثار بالجامعات في جامعة أُبسالا بالسويد عام 1662 ثم في جامعة لايدن بهولندا عام 1818 ثم جامعة كمبردج بانجلترا 1851 م.
- يتواجد علم الآثار حالياً في معظم الجامعات.
- كانت مادة علم الآثار مادة من مواد برنامج الليسانس في التاريخ في النظام القديم حتى 1971.ثم تخصص تابع لدائرة التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية وفق المرسوم رقم 75-91 المؤرخ في 24جويلية 1975 وبقرار مؤرخ في 13نوفمبر 1976.

5-الجمعيات الأثرية

- بدأت الجمعيات الأثرية منذ القرن السادس عشر في إيطاليا (جمعية نابولي للعلوم الطبيعية) عام 1560 م وتلتها أخرى في بريطانيا عام 1572م ثم أكاديمية لنشية في روما عام 1603م ثم أكاديمية شمنو في فلورنسا في إيطاليا عام 1650م ثم جمعية لندن عام 1660م ثم أكاديمية العلوم في باريس عام 1666م.
- الآن كَثُرت الجمعيات وأصبحت لها مؤتمرات دورية منتظمة وتنقيبات أثرية باسمها ومنشورات (كتب ومجلات) متخصصة.
- للعالم العربي النصيب الأكبر عدداً وشهرة من الجمعيات الأثرية.